المحاضرة السابعة

الدعوة الإسلامية ١

مراحل الدعوة والتبليغ وبناء الدولة:

دأب المؤرخون على تقسيم دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى عهدين متميزين؛ هما العهد المكي والعهد المدني. ويمكن ان نقسم كل عهد منهما الى مراحل وفق ما توحي به النصوص المعتمدة:

أولاً: مرحلة إعداد القاعدة الايمانية الاولى: اصطلح على تسمية هذه المرحلة بمرحلة الخفاء او الدعوة السرية. إذ ارتكزت الدعوة المحمدية على قاعدة صلبة مثّلها المسلمون الاوائل الذين كانت لهم فضل السابقة في الاسلام ، وقد مثلوا الاساس الرصين الذي اتكأ عليه الدين الجديد، فلولا تلك القلوب المشبعة بالايمان الحقيقي لما صبروا على أفضع اساليب التعذيب التي استخدمها اعدائهم في محاولة ثنيهم عن عقيدتهم.

فبعد ان كُلف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بتبليغ الرسالة، شرع يهيء نفسه للخطوات الآتية في طريق الدعوة الى دين الله، ومن الطبيعي ان يكون الاقربون هم الاولى بهذا الامر، ولم يكن أحد اقرب للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من ربيبه، وابن عمه أمير المؤمنين (ع) الذي لم يتكلف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أي جهد في دعوته، فهو الشاهد على الوحي في أول نزوله على قلبه(صلى الله عليه وآله وسلم) ، والاولى بتصديق بعد ان كان لصيقاً به، ويتبعه اتباع الفصيل اثر امه.

كان أمير المؤمنين (ع) النموذج الأمثل والأكمل لمؤازرة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لما توافرت عليه ذاته الشريفة من الطاعة والانقياد والقوة لحمل هذا الامر، اذ كان النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) بأمس الحاجة الى الناصر والمؤازر" فكان علي (ع) يمثل ذراع النبوة في تبليغ الرسالة منذ انطلاقها، والعين الباصرة ولسان الدعوة الناطقة بها".

ثم تأتي السيدة خديجة (ع) بعد أمير المؤمنين (ع) لتكون خير ملبٍ لنداء الحق، وفي طليعة من آمن بدعوته(صلى الله عليه وآله وسلم) والى ذلك يشير الامام (ع) : " **وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه، صلى الله عليه وآله، وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه صلى الله عليه وآله**". والامر الجدير بالالتفات اليه انه رغم مكانة السيدة خديجة ∃ من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن دعوته، وكونها اول من آمن به(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد امير المؤمنين (ع) الا انه يقول في النص اعلاه: " ارى نور الوحي" أي أنه وحده كان قد اختص بهذا المقام.

ورغم ما يشاع في الروايات التأريخية بان هناك ***دعوة سرية*** تخفى فيها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يعلم المشركون بامره ومضامين دعوته، وانها استمرت ثلاثة سنوات، فهو محل توقف وتأمل!

١ ــ اذ كيف تتلائم السرية مع الروايات التي أشارت إلى ان أمر النبي كان معروفا، إذ يشار في العلن: " *ان ابن عبد المطلب ليكلم من السماء*".

٢ ــ ورد في الروايات انه(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلي هو وأمير المؤمنين والسيدة خديجة (ع) بالقرب من الكعبة المشرفة، فهل يعقل ألا يراهم أحد؟

٣ ــ ذكر ابن سعد: " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام سراً وجهراً، فاستجاب لله من شاء من احداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشنفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وعادوه ".

٤ ــ ذكرت الروايات إن أكابر قريش لم يقفوا ضد دعوته في باديء الامر، حتى ان امره بالنسبة لهم لا يعدو تأملات، وهم الذين كانوا على دراية بمنهجه التعبدي، ونهجه الخلقي، اذ نبذ صلى الله عليه وآله كل ما هو شين أو سيء من فعالهم وعلى المستويات العقدية والسلوكية كافة فعرف بينهم بـــ " الصادق الامين " فلم يتوجسّوا منه خوفاً، ولم يشددوا في محاربته والوقوف بوجه دعوته.

من جانب آخر فقد واصل(صلى الله عليه وآله وسلم) تحركاته الرسالية، واستطاع في وقت قياسي " ان يصوغ من النفوس التي آمنت برسالته عناصر فعالة تحمل قيم الرسالة لتنطلق بها الى الناس، وهم اشد حرصاً على اسلامهم، واكثر يقيناً بايمانهم، مستنكرين بذلك ما كان عليه آباؤهم من شرك وخلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهد بالرسالة".

وتتضح دلالات ايمانهم العميق من خلال مواقفهم الجهادية فيما بعد في ساحات الوغى نصرة لعقيدتهم، حتى اضطروا الى مقاتلة اقربائهم من آباء وابناء واخوان ولم يتوانوا عن قتلهم ان تطلب الامر منهم ذلك. وقد عد الامام ذلك من اهم عوامل نجاح الدعوة وتحقيق النصر المؤزر على اعداء الدين في تلك المرحلة الجهادية.

حادثة الإنذار: ومن المواقف الهامة في حياة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المرحلة هو التوجه نحو عشيرته ودعوتهم لدين الله ومؤازرته على امره تبعا لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فكانت اولى خطواته انذارهم في مجتمع تسوده الاعتبارات القبلية وقد تباينت الاتجاهات والاستجابات لبني هاشم لدعوته(صلى الله عليه وآله وسلم) اذ انقسموا الى اتجاهين متضادين، فمنهم من قبل الدعوة وانسجم معها ونصرها بكل قوة، وفي طليعة

هؤلاء امير المؤمنين (ع) واهل بيته، ووقف اتجاه آخر ضد الدعوة ومن آمن بها، ومثيل ذلك ما اشار اليه من مواقف بعض الشخصيات الهاشمية كأبي لهب وقد كان لدعوة بني هاشم الى الدين الجديد اصداؤها في اشاعة خبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) اذ تبين لهم صدق دعوته وجديتها، هذا من جانب ومن جانب آخر ، فقد دخل فيه الناس " ارسالا ، من النساء والرجال ، حتى فشا ، فذكر الاسلام ، وتحدث به ، ... فأعظمت ذلك قريش وغضبت له ، وظهر فيهم لرسول الله البغي والحسد ، وشخص له منهم رجال فبادؤه العداوة ، وطلبوا اليه الخصومة ".